

نشأة القصة القصيرة في الجزائر

نزوية غرايسة

المشرف: د. أحلام بن الشيخ، أستاذة محاضرة "أ"

مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

ملخص

كان نشوء القصة القصيرة في الجزائر متأخرا مقارنة بمشيتها في العالم العربي، وكان لهذا أسباب عدة أثرت في ذلك، ونتيجة لظروف عرفت الجزائر دون غيرها من الأقطار العربية، والتي أحاطت بالثقافة العربية في الجزائر أدت إلى عرقلة نشأتها؛ نجد من أبرزها اللغة والدين والتقاليد وضعف النقد والتوجيه في حين أن العوامل التي كانت سببا في ظهورها الصحافة والثورة والاتصال بالشرق والغرب .
الكلمات المفتاحية: القصة القصيرة، نشأة القصة القصيرة، مراحل التطور، عوامل الظهور، عوامل الضمور.

Résumé

L'émergence de la nouvelle en Algérie a été trop tardive par rapport à celle dans le monde arabe, et cela a eu de nombreuses raisons de le faire, et à la suite de circonstances connues de l'Algérie et d'autres pays arabes, qui entouraient la culture arabe en Algérie, qui a conduit à l'obstruction de sa genèse, plus particulièrement la langue, la religion, les traditions et la faiblesse La critique et l'orientation, tandis que les facteurs qui ont été la cause de la presse, la révolution et la communication à l'est et à l'Ouest.

Mots-clés: *histoire courte, genèse de la nouvelle étapes de l'évolution, facteurs d'apparence facteurs de l'atrophie.*

Abstract

The emergence of the short story in Algeria was too late compared to that in the Arab world, and this has had many reasons to do so, and as a result of circumstances known to Algeria and other Arab countries, which surrounded the Arab culture in Algeria, which led to the obstruction of its genesis, most notably the language, religion, traditions and weakness Criticism and guidance while the factors that were the cause of the press, revolution and communication to the east and west.

Keywords: *Short Story, Genesis of hort Story, Stages of Evolution, Factors of Appearance, Factors of Atrophy.*

مقدمة

تعد القصة القصيرة فناً أدبياً حديثاً خاصة في الجزائر، ذلك لأنها تصور واقع وحياة الإنسان الجزائري في مرحلة مهمة من مراحلها وهي الثورة وما بعدها، مما نتج عن ذلك تنوع في موضوعاتها وأشكالها، وقد كان للعديد من العوامل الأثر البالغ على تطور ها، ولهذا نطرح التساؤل التالي: كيف نشأت القصة القصيرة في الجزائر، وما هي مراحل تطورها، وما هي العوامل التي أثرت في ذلك سلباً وإيجاباً، وهذا ما سوف نعمل على توضيحه من خلال هذه الدراسة.

أولاً: نشأة القصة القصيرة الجزائرية

نشأت القصة القصيرة الجزائرية متأخرة بالنسبة إلى القصة في العالم العربي نتيجة لظروف عرفتها الجزائر دون غيرها من الأقطار العربية (1)، فبينما كانت القصة قد خطت خطوات واسعة في بداية هذا القرن في الأقطار العربية الأخرى، وظهر كتاب أرسوا دعائها مثل "أحمد تيمور" و"طه حسين" و"المازني" و"هيكل" وغيرهم، كانت الجزائر في هذه الفترة تتلمس طريقها وتبحث عن شخصيتها التي حاول الاستعمار طمس معالمها والقضاء عليها(2).

ولكن إبان الحرب العالمية الأولى ظهرت حركات سياسية وطنية، وبدأ الشعور الوطني يتبلور فيما نادت به الحركة الإصلاحية التي نادى فيها العلماء بالرجوع إلى التراث القومي من لغة وتاريخ ودين، والتي تطورت بعد ذلك إلى "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"(1).

كما ظهرت حركات سياسية مثل "كتلة النواب" التي تزعمها الأمير "خالد" نادى فيها بالمساواة بين الفرنسيين والجزائريين وكذلك ظهرت جمعية "نجم شمال إفريقيا" التي نادت بالاستقلال والتي عاودت الظهور بعد ذلك تحت أسماء مختلفة. هذه الفترة تمثل بداية

(1) - ينظر، عبد الله الركبي، القصة الجزائرية القصيرة، دار الكتاب العربي، الجزائر 2009، ص 11.

(2) - المرجع نفسه، ص 12.

(1) - المرجع السابق، ص 12.

النهضة في الحركة السياسية التي أثرت في الثقافة فبدأت تنهض هي الأخرى، بعد أن كانت الثقافة العربية التقليدية قد وصلت إلى تدهور مربع (2).

ويمكن تقسيم تاريخ القصة القصيرة العربية إلى مرحلتين: المرحلة الأولى اتسمت بطابع الروح الإصلاحية، مع عودة مستمرة إلى المواضيع التي تدور حول المسائل الاجتماعية والتعليمية والفكرية في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي، وهنا نلاحظ أن الاهتمام كان ضئيلاً بالمسائل السياسية الصرفة الناجمة عن احتلال الجزائر، وبصورة عامة، فإن الكتاب كانوا مع استثناء قليل يسيرون على نهج العلماء، أما الفترة الثانية، فقد تركزت كلية على حرب التحرير (3).

المرحلة الأولى : روح الإصلاح

إذا ما استثنينا العدد القليل من كتاب القصة القصيرة البارزين الذين لعبوا دوراً رئيسياً في تطوير هذا النوع الأدبي، فإن الغالبية العظمى لم تساهم كثيراً من خلال جهودها الفردية المشتتة، ومن جهة أخرى، فقد اتبع معظم الكتاب النهج العام في اختيار المواضيع الرائجة في ذلك الحين، أي الأفكار التي كانت تدعو إليها جمعية العلماء المسلمين التي تتعلق بالدين واللغة والشخصية الوطنية (1).

وأول قصة قصيرة هي "دمعة على البؤساء" كتبها "علي بكر السلامي" ولهجتها تتماثل مع لهجة الإصلاحيين، حيث تهاجم الطرقيين وتتهمهم باستغلال الشعب لمأربهم الذاتية، وقد انتقد الاصطلاحيون رؤساء المنظمات الدينية لاسيما "المرابطين" باتهامهم أنهم مسلمون غير مخلصين، و "السلامي" يعتبرهم شيوخاً مزيفين. لأن بطل قصته أضاع ثروته على شكل هبات لهم، وبعد ما أصبح فقيراً لم يساعده بأي طريقة، ويتحدث الكاتب بلهجة الواعظ وليس بالأسلوب القصصي.

(2) - المرجع نفسه، ص12.

(3) - عايدة اديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري 1967/1925 ترمحمد صقر ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص305.

(1) - المرجع السابق، ص305.

وقد مضى ما يقارب العشر سنوات قبل أن تظهر، قصة أخرى على صفحات الشهاب ففي عام 1935 نشر "محمد بن العابد الجلاي" قصته الأولى تحت اسم مستعار هو "رشيد"، وأثناء هذه الفترة لا يبدو أن هناك أية قصة أخرى قد نشرت، على الأقل في الدوريات التي ينشرها العلماء، ويعتبر "الجلاي" رائداً في مجال القصة القصيرة العربية، من حيث جودة كتابته، وعمق تفكيره وروحه النقدية، ومرحه، وموقفه الشجاع إزاء السلطات الفرنسية والمجتمع الجزائري التقليدي. (2)

المرحلة الثانية: فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية

تعكس القصة القصيرة التي كتبت خلال هذه الفترة شعوراً بالتشاؤم ميز موقف الكتاب الذين شرعوا في انتقاد التقاليد السائدة، وظلم الإدارة الاستعمارية، والفساد في المجتمع الجزائري لا سيما في المجالين الأخلاقي والديني، والتذمر والشكوى من أوضاعهم المالية البائسة، ومن جهة ثانية، فإن بعض الكتاب الآخرين لم يتجاوبوا مع ذلك الوضع وعالجوا مواضيع عامة أو شخصية عاطفية، وكان عدد هؤلاء قليل ويشكلون تجارب منفصلة لا تمثل اتجاهها متميزاً بحد ذاته، مهما يكن من أمر فإن حالتهم هذه تعتبر هامة لأنها تكشف عن جانب بارز من الأدب في ذلك الوقت، وقد شهد عام 1945 هجوماً ساخطاً على الإدارة الفرنسية، تم التعبير عليه صراحة أو ضمناً من خلال الرمز. (1)

إذا خلال هذه الفترة اعتمد الكتاب طرق عديدة للتعبير عن حالهم اتجاه المستعمر إما بالتصريح أو بالتلميح، لكن في عام 1949م في الوقت الذي لم يتبقى لدى الجزائريين شيء يخشون فقدانه ولأنهم أخيراً فقدوا ثقتهم بالوعد التي تطلقها السلطات الحاكمة، فإنهم اتخذوا موقفاً أكثر جرأة وحماسة، وكان الانتقاد موجهاً بصورة خاصة من الزاوية الدينية، حيث أن العلماء استاءوا من تدخل الإدارة الفرنسية في الشؤون الإسلامية، من حيث تعيين الأئمة وتقييد بعض الممارسات الدينية، وأن كلا من أحمد بن عاشور وأحمد رضا حوحو قد بينا هذه القضية، فاعتبروا الأئمة المعينين بمثابة العوبة في يد الإدارة الفرنسية. (2)

(2) - عايدة أديب بامية، مرجع سابق، ص306.

(1) - ينظر، المرجع السابق، ص309.

(2) - المرجع نفسه، ص309.

ثانياً: عوامل الضمور والظهور

لقد اعترضت القصة القصيرة في طريق نشأتها العديد من العوامل التي أثرت عليها إيجاباً وسلباً ومن أهم هذه العوامل نذكر:

عوامل الضمور

أ - اللغة:

تعتبر اللغة عنصر أساسي للنهوض بالأمة الإسلامية، لأنها لغة الدين والثقافة والعلم، ولهذا تعرضت لمحاولات الطمس والإبادة من أجل إحلال اللغة الفرنسية محلها. كان لهذا انعكاساً سلبياً على الأدب عامة والقصة خاصة، لأن القصة كفن أدبي تحتاج إلى لغة مرنة متطورة، وهذا الوضع دفع رجال الحركة الإصلاحية والمؤمنين بالعربية في الجزائر إلى أن يحافظوا على اللغة العربية التي أصبحت غريبة في وطنها سعياً إلى إنقاذها من الاندثار⁽¹⁾.

ولكن ما لبثت اللغة العربية أن استردت مكانتها بعد أن انتشر التعليم في المدارس الحرة، وبعد أن تطورت الصحافة عقب الحرب العالمية الثانية، وأخذ الكتاب يطوعون اللغة للتعبير عن عواطفهم وأفكارهم بلغة فنية ظهرت في الإنتاج القصصي⁽²⁾.

ب - الدين:

كان للدين تأثيره في القصة القصيرة وهذا التأثير نابع من أمرين، من اضطهاد الدين، ثم من ارتباط القصة بالحركة الإصلاحية خاصة في بداياتها الأولى⁽³⁾.

إن ارتباط الحركة الأدبية بالعقيدة الإسلامية يطرح منذ القدم إشكالية الفن والأخلاق ولا يخفى علينا أن نوه بطغيان هذا المؤثر في القص الجزائري بحكم أنه وجه قصداً لمحاربة الطرقية والمذاهب الصوفية المتمزمة الموالية لفرنسا ممن استمالتهم بأساليب ماهرة خفية أو معلنة، واستمر تأثير الضاغط الديني على القصص الجزائرية⁽¹⁾.

(1) - المرجع السابق، ص 309.

(2) - بوضرة زهرة، القصة الجزائرية بين الإبداع والإبداع، رسالة ماجستير، 2006/2007، ص 69.

(3) - عبد الله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، ص 20.

(1) - عبد الله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، ص 20.

ج- التقاليد:

كان للتقاليد تأثير كبير في الحياة الأدبية مما أعاق تطور النتاج القصصي، فنجد بأن وضع المرأة في المجتمع وطبيعة الحياة التي كان يعيشها الشعب الجزائري تحت حكم الاستعمار طبعت المجتمع بطابع متميز مما أثر في الإنتاج القصصي.

فالمرأة كانت تعيش في وضع منغلق لا يسمح لها بأن تؤثر في الحياة الثقافية تأثيرا ايجابيا، وقد قل الحديث عن المرأة الجزائرية في القصة، حتى أن الكتابات التي تعرضت لهذا الموضوع جاءت متأخرة جدا بعد أن تطور المجتمع الجزائري وبدأت المرأة نوعا ما تخرج من بيتها، وبدأت الدعوة إلى تعليمها بشكل واضح وإلى مشاركتها في الحياة⁽²⁾.

وقد كانت لهذه النظرة التقليدية للأدب وإلى المرأة، وكذا النظرة المحافظة للمجتمع، وارتباط الأدب بالحركة الإصلاحية الدينية، أثره فطبع الأدب الجزائري بطابع جاد هادف شعرا وقصة⁽³⁾.

د- ضعف النقد والتوجيه:

أثر ضعف النقد في تأخر القصة وتطورها ويعود ذلك إلى انعدام الناقد الدارس الذي يوجه القصة شكلا ومضمونا، وانعدام وسائل التشجيع الكافية للأديب القصاص كي يكتب وينتج. ذلك أن العلاقة بين الأدب ونقده علاقة طردية فضعف المنتج القصصي في ذلك الزمان يقابله بالضرورة ضعف في الإنتاج النقدي، إذ لم يتعرض النقد إلى النصوص السردية عموما بالتعليل والتحليل والتوجيه⁽¹⁾.

عوامل الظهور

أ- الاتصال بالشرق والغرب

لقد كان لاتصال الجزائر بالشرق العربي أثره في الثقافة والأدب، وظهر هذا الأثر في الاهتمام بالنهضة الثقافية في المشرق، وخاصة في الشعر وان لم يظهر في القصة إلا متأخرا، ذلك أن الاستعمار قد ضرب سدا منيعا بين الجزائر والمشرق العربي، ففصلها سياسيا حين

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص (27، 29).

(3) - المرجع نفسه، ص 30.

(1) - بوضرة زهرة، مرجع سابق، ص 66.

اعتبرها جزءا من فرنسا كما فصلها ثقافيا عندما حرم اللغة العربية ومنع دخول الصحف العربية للجزائر، غير أن الجزائر كانت تسعى دائما إلى أن تكون صلتها قوية بالمشرق العربي، فكان معظم رجال الحركة الإصلاحية يزورون المشرق العربي لغرض الدراسة - بالأزهر أو الزيتونة - أو الحج، إذ كان لهذه الزيارات أثر كبير في الدعوة إلى نهضة عربية وإصلاحية⁽²⁾. وكان للصحف التي تدعو إلى نهضة العالم الإسلامي مثل جريدة "العروة الوثقى" و"المنار"، أثرها في الحركة الإصلاحية بالجزائر وفي ارتباطها بمثيلتها في المشرق.⁽³⁾

وقد اقتفى الكثير من الشعراء والأدباء الجزائريين أثرا للأدباء المشاركة فيما يكتبون، هذا كان واضحا جليا في الشعر أما بالنسبة للقصة فقد كان ضئيلا⁽¹⁾

من هنا يتبين أن الصلة بين الجزائر والمشرق العربي قد أثمرت ثمارا أفادت الجزائر في نهضتها الأدبية والثقافية، وعلى العكس من هذا صلة الجزائر بأوروبا، فقد كانت العلاقة بينهما قبل الاحتلال علاقة تجارة ومعاملات رسمية، ولم تكن هناك استفادة من النهضة الثقافية والمادية الأوروبية، وبعد الاحتلال اتخذ الشعب الجزائري موقفا معاديا من الثقافة الغربية، إذ لم يظهر من رجال الفكر والأدب - وخاصة من رجال الحركة الإصلاحية - من يدعو إلى الاستفادة من الأدب الغربي⁽²⁾.

ب- الصحافة

لعبت الصحافة الجزائرية دورا مهما في بث الوعي لدى الشعب الجزائري، على المستويين الفكري والثقافي، وذلك داخليا وخارج حدود الوطن.⁽³⁾

ويؤكد "علي مراد" بأن الصحافة الوطنية العربية والفرنسية ساندت الوعي لدى الشعب، في جو من الانفراج النسبي من جانب الإدارة الفرنسية التي أعطت الجزائريين بعض الحرية للتعبير عن آرائهم⁽⁴⁾، وكان الشباب الجزائري المثقف بالفرنسية مهتما أكثر بالأمور

(2) - عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي 2009، ص 194.

(3) عبد الله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، المرجع السابق، ص 30.

(1) - المرجع السابق، ص 36.

(2) - عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ص 195.

(3) - عبد الله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، ص (36،35).

(4) - المرجع نفسه، ص 36.

الاجتماعية والاقتصادية للجزائر، في حين كانت الصحافة العربية تركز على حركة الإصلاح الإسلامية ونهضة الثقافة العربية، وكان على رأس هذه الحركة الإمام "عبد الحميد ابن باديس" الذي عمل مع جماعة الشهاب من خلال دورية الشهاب، وقد أولى اهتماما خاصا بالأدب، وفي عام 1935، ومع تأسيس الدورية الثانية البصائر، أصبح للأدب دوريتان تحت تصرفه، إذ كانت كل الكتابات المنشورة فيها تتفق مع السياسة العامة لجمعية العلماء المسلمين وعلى أساس هذا يجب دراسة القصة القصيرة، لأنها ولدت على صفحات صحافة جمعية العلماء⁽¹⁾.

ويقول "مخلوف عامر" بأن العناية بالأدب فضلا عن فنيته لم تكن كافية نظرا للظهور المبكر للصحافة العربية في الجزائر، فمجريدة "المبشر" كانت ثالث معربة على مستوى العالم بعد "التنبيه" و"الوقائع" المصريتين، إذ صدرت عام 1847م، ومنذ العشرينيات ازدهر النشاط الصحفي خصوصا بفضل نضج الحركة الوطنية، وتعدد الأحزاب⁽²⁾.

ج- الثورة

تعتبر الثورة من أهم المواضيع لكتاب القصة القصيرة، إذ يمكن تقييم المرحلة الثورية من الحياة الأدبية على أنها مرحلة ازدهار للفن القصصي حيث أثرت الحوادث السياسية على مخيلة الكتاب فتحسوا للقضية وتخلصوا من التقاليد الاجتماعية والصبغة الإصلاحية، وسعى الكتاب إلى التنقيب عن موضوعات وأشكال جديدة تستوعب الوقائع الثورية⁽³⁾.

وقد كان من الطبيعي أن تجد القصة في الثورة متنفسا ومنطلقا حقيقيا لها فتتخلص من كل العوائق والعقبات التي عرقلت طريقها مندفعة إلى الأمام لتؤدي دورها مجددة في الشكل والمضمون منفعة بالثورة، ملتزمة بمبادئها وأهدافها، معبرة بصدق عن واقع الشعب⁽⁴⁾.

(1) - عائدة أديب بامية مرجع سابق، ص303.

(2) - مخلوف عامر، مظاهر التجديد في القصة القصيرة بالجزائر، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط2، 2008، تيزي وزو، ص41.

(3) - بوضرة زهرة، مرجع سابق، ص66.

(4) - عبد الله الركبي، الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. 1982. ص143-144.

الخاتمة

وفي الأخير يمكن القول بأن القصة القصيرة في الجزائر نشأت متأخرة عن القصة في العالم العربي، وذلك نتيجة أوضاع وظروف مرت بها الجزائر دون غيرها من البلاد العربية، أثرت سلبا وإيجابا على تطور القصة القصيرة والتي من أهمها ضعف النقد والتقاليد واللغة والدين والتي تعد من العوامل التي ساعدت على ضمور القصة وعرقلتها، أما العوامل التي ساهمت في ظهور القصة فهي تتمثل في الاتصال بالشرق والغرب والصحافة والثورة...